في ذكراه السنوية الثالثة والأربعين

الشهيد شمران.. القائد الثائر بوجه الاستكبار والحرمان

الوفاق / كان الشهيد الدكتور مصطفى شمران، كما وصفه الامام الراحل روح الله الخميني(قدس)"قائداً عظيماً ومجاهداً مسلماً واعياً. كان يُسطّر الملاحم في ساحات صراع الحق مع الباطل، سواء في إيران أو لبنان... لقد كان مجاهداً تقياً ومعلماً ملتزماً، وبلادنا الإسلامية بحاجة ماسة إليه وإلى أمثاله".

فهو يُعد من الشخصيات المؤثرة في مسيرة الثورة الإسلامية والمقاومة في المنطقة، ويؤخذ في الاعتبار الجانب العسكري في شخصيته بشكل عام. إلا أن أداءه كان متعدد الأوجه، فبالإضافة إلى نشاطه في مجالات الجهاد والدفاع، نرى أيضاً دوره في المجالات السياسية والعلمية والاجتماعية. من أبرز مآثر حياة الشهيد الدكتور السياسية والاجتماعية تأثيره ودوره المتفرد في تأسيس التجمعات الطلابية ضد نظام الشاه البائد وخصوصاً الاتحاد الإسلامي للطلبة في أميركا في هذه المقالة القصيرة، وبمناسبة مرور ثلاثة وأربعين عاماً (٢١ حزيران عام ١٩٨١ م) على استشهاده نحاول التعرف على الشخصية الاجتماعية له.

روحية التضحية بالنفس

من أبرز سمات الشهيد شمران في النشاط السياسي والاجتماعي كانت امتلاكه روحية التضحية بالنفس، فهو كان دائمًا يُكرس نفسه للمثل والقيم الدينية والثقافية السامية التي نبعت من الإسلام، ولم يكن جهاده وتضحيته من الرياء والشهرة، بل انسجاماً مع إرادة الله(عزوجل) وأهدافه المقدسة. في كتابات الشهيد الدكتور شمران هناك دائماً حديث عن حب الشهادة، وكان دائماً يحاول حماية الإسلام بالتضحية في ميادين الحرب والدفاع عن الحدود الإسلامية.

الاهتمام بمُثل الثورة الإسلامية

لقد اهتم الشهيد شمران دائمًا بمُثل الثورة الاسلامية في مقابلاته وخطبه وتصريحاته، ويظهر تحليل كتاباته ومقابلاته أنه اعتبر ركائز الثورة الإسلامية في الدين والروحانية، والقيادة والشعب وأكد أن أهداف الثورة الإسلامية تشمل العدالة الاجتماعية، والتخفيف من حدة الفقر، والاستقلال، والحرية، والتحول العقلي والروحي.

خادم الثورة

أمضى الشهيد الدكتور شمران سنوات عديدة من حياته في نشر التفكير الجهادي في المجتمع مع الإيمان بإحداث التغيير. لُقب بـ"خادم الثورة" بسبب الجهود التي بذلها لتعزيز وحماية وتأسيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ولم يكن يهتم في خدمة المجتمع إلاّ برضا الله (عزوجل)، ويتفرغ للأعمال الخيرية وتقديم المساعدات. وقد ورد في مذكرات مختلفة أن الشهيد الدكتور كان يتعاطف مع المحرومين ويحاول دائمًا الدفاع عن حقوق الفقراء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلومين والمحرومين في المجتمع.

يتحدث الحاج حسين خليل – نائب الأمين العام السياسي لحزب الله في لبنان – هذا الموضوع، فيقول:""لقد خدم بهذه الطريقة وعمل بجد ودون كلل، وكان يتمتع بشخصية علمية ودينية، وكان قريباً جداً من الفقراء والمساكين، وكان يهتم بالصغير والكبير".

الاهتمام بالمواضيع الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية والسياسية

كانت الأخلاق والروحانية في حياة مصطفى شمران متجذرة في شخصيته، وهناك أمثلة كثيرة على تعاملاته الأخلاقية في جبهات الحرب، وفي البيئة الأسرية، وفي الساحتين السياسية والاجتماعية، مما يظهر ارتباط الأخلاق بالحياة العملية. وكان في نشاطه الاجتماعي مستسلماً لإرادة الله(عزوجل) ومشيئته، وشكر النعم، والعدل، وطلب الحق، وإنكار الظلم، والزهد، والتواضع، والحرية، وعدم التعلق بالدنيا، والصبر، والرضا، والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعفو والغفران وإدانة النفاق.

طاعة ولي الأمر الشرعي

اعتبرت جهود الشهيد الدكتور شمران، وخاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية، ومن أجل منع حدوث الانحرافات والمظالم والفجور في المواجهات السياسية الهادفة إلى السلطة، نموذجاً يحتذى به في طاعة الإمام الخميني (قدس) وقيادته وقد نجح في هذا الهدف وفي هذا الطريق، فإن معرفة ورؤية الشهيد شمران جعلته يتجاوز حدود الأنانية ويحقق التميز بطاعة قائد الثورة في ميادين الدفاع والنضال. فهو أعلن من أعماق قلبه: "أنا لا أقول إن الفقيه معصوم من الخطأ، ولكن أمة تثق بأمر الله(سبحانه وتعالى) إلى أمر الفقيه، فلا يسمح الله لذلك القائد أن يخطئ وبطريقة ما يمنحه البراءة."

يشعر بآلام المحرومين

تميز الشهيد الدكتور شمران بالرقة والحساسية المفرطة، فكان يتألم من صميم قلبه لآلام المحرومين ويشاركهم عناءهم بعواطفه المستفيضة. وقد كتب هو في مذكراته مصوراً تلك الفترة من حياته، فقال:"عندما كنت عائداً تحت جنح الليل المظلم، شاهدت شخصاً فقيراً يرتجف من البرد القارس وسط ثلوج الشتاء، غير أنه لم يكن بإمكاني أن أعد له مكاناً دافئاً، فقررت أن أقضي تلك الليلة مثله أرتعش من البرد بعيداً عن المأوى، وقد فعلت؛ فقطعت الليل حتى الصباح وأنا أرتجف من شدة البرودة لدرجة أنني أصبت بالمرض الشديد، وما أجمله من مرض". و"عندما رسب أحد زملائي في الامتحان أخذت أذرف الدموع بحرارة لدرجة أنه شعر بالألم الشديد، فأخذ يهدئ من روعي قائلاً: ليس مهمّاً، لا تحزن إلى هذه الدرجة".

فحيثما كان الألم والعناء والعمل والمسؤولية والمشاكل والمخاطر، كان الشهيد الدكتور حاضراً؛ فكان يركب الخطر وسط التظاهرات العارمة وأمام الإطلاقات النارية وفي مواجهة الدبابات وفي خضم المسؤوليات الكبرى، وكان دائماً ما يعرض نفسه للخطر من أجل إنقاذ حياة زملائه.

لم يكن يشارك في مراسم الأفراح والمسرات، وكانت سعادته الكبرى في إسعاد الآخرين وتحمل آلامهم، لدرجة أنه كان يشعر بالضيق والقلق عندما تسترعيه الضرورة لحضور أحد الأفراح، لأنه كان دائم التفكير في شقاء البائسين والمحرومين من مثل هذه المتع والمباهج.

> تميز الشهيد الدكتور بالرقة والحساسية المفرطة، فكان يتألم من صميم قلبه لآلام المحرومين ويشاركهم عناءهم بعواطفه المستفيضة، هاجر الى مصر ولبنان من أجل محاربة الظلم والاستبداد المتمثلة بالكيان الصهيوني

النضال المستمر ضد الظلم والاستبداد

ومن صفات الشهيد الدكتور شمران هو النضال ضد الظلم والاستبداد والجرائم ضد الإنسانية. لقد ناضل طوال حياته ضد الظلم والاستبداد الداخلي والخارجي، ولم يقتصر ذلك على إيران فحسب، بل في لبنان ومصر أيضًا. ويشير في هذا الصدد "مهدي أمير كمالي" القائم بأعمال سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان؛ بالقول"هاجر الدكتور شمران إلى مصر ولبنان بهدف الانضمام إلى حركة العدالة بسبب الحساسيات الخاصة التي كانت لديه تجاه قضايا الإنسان منذ طفولته ومراهقته ومن أجل محاربة الظلم والاستبداد في كل مكان، فهو تجاوز كل العلاقات والتبعيات والأوضاع وانتقل من أفضل مناطق العالم وأكثرها تقدماً إلى إحدى المناطق الجغرافية المنسية أي جنوب لبنان، وأتى إلى المحرومين والمظلومين والذين ليس لديهم أحد إلا الله (سبحانه وتعالى)، لتقديم يد العون لهم ومساعدتهم للتحرر من العدو الداخلي والخارجي".

وفي هذا الإطار قال الامام الخميني (قدس) في تأبينه: " فقد شعبنا المحب للشهيد جندياً (الشهيد شمران) صنع ملحمة على جبهات المعركة مع الباطل، سواء في لبنان أو في إيران، ورفاقه. وكان شعارها عز الإسلام وانتصار الحق على الباطل".

لم يحد النضال من أجل الحق والدفاع عنه في مواجهة الطواغيت في قاموس الشهيد شمران أي زمان أو مكان، بل فرضته الحاجة إلى أمثاله، فتخلى طوعاً وبإرادة واعية صادقة همها التقرب الى الخالق بخدمة عباده عن شهوة الشهرة وبريق الأضواء، وعن الخيارات الواسعة المفعمة بالترغيب والاغراءات، ليكون قريباً من ميادين الجهاد وأبطالها بالدم والفكر والقلم والسيف والبندقية وبالصبر والأناة.

وقد كتب الدكتور الشهيد شمران عن هذا الموضوع في مذكراته، فقال: "لقد كنت أحيا حياة رغدة في أمريكا، وكنت أملك شتى الإمكانات، ولكني طلقت اللذائذ ثلاثاً وذهبت إلى جنوب لبنان حتى أعيش بين المحرومين والمستضعفين وأتذوق فقرهم وحرمانهم وافتح قلبي لاستقبال آلام وهموم هؤلاء البؤساء. لقد أردت أن أظل دائماً في مواجهة خطر الموت تحت القنابل الصهيونية، جاعلاً لذتي الوحيدة في البكاء وأنا أبث السماء آهاتي الحارقة في سكون الليل وظلمته، وحيث إنني عاجز عن مد يد العون لهؤلاء المظلومين المسحوقين فيمكن أن أواسيهم بالحياة بينهم كما يعيشون فاتحاً أبواب قلبي لاستقبال حزنهم وشقائهم.

سيرة شهيد

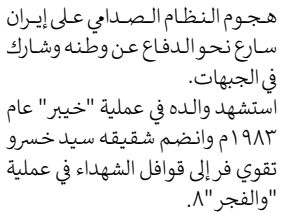

الشهيد السيد حميد تقوي فر

ولد السيد "حميد تقوي فر" في خوزستان عام ١٩٥٩ م في قرية "أبو دبس" بمدينة كارون (كوت عبد الله). كما أنهى تعليمه الثانوي في ثانوية سعدي في أهواز والتي التقى فيها بالشهيد إسماعيل دقائقي ومحسن رضائي وعلي شمخاني وانضموا إلى جماعة "منصورون" واتخذوا خطوات لمحاربة النظام البهلوي الديكتاتوري.

لعب دوراً محورياً في محاربة المؤامرات

مع انتصار الثورة الإسلامية وتشكيل الحرس الثوري الإسلامي، كان الشهيد من القوى التي تشكلت نواتها الأساسية في مدينة أهواز، ولعب دوراً محورياً في محاربة المؤامرات المعارضة للثورة في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية ، التي حرض عليها المستعمرون لإثارة الفوضى في خوزستان. ومنذ الأيام الأولى قام بمعرفة واعتقال بعض المجموعات الذين كانوا يعملون كطابور خامس للعدو، وذلك بسبب معرفته باللغة العربية، ومنذ أوائل هجوم النظام الصدامي على إيران سارع نحو الدفاع عن وطنه وشارك في الجبهات.

استشهد والده في عملية "خيبر" عام ١٩٨٣م وانضم شقيقه سيد خسرو تقوي فر إلى قوافل الشهداء في عملية "والفجر"٨.

أبرز نشاطاته الجهادية

كان الشهيد مسؤولاً عن معظم أعمال الاستطلاع أثناء الحرب ثم جمع المعلومات فيما بعد إلى جانب الشهيد حسن باقري، وقام بتشكيل وحدة المخابرات والعمليات على جبهة مدينة سوسنجرد وتولى قيادة معسكر رمضان. في نهاية الحرب ، واصل السيد حميد تقوي فر أنشطته في فيلق القدس وتقاعد من الحرس الثوري الاسلامي عام ٢٠١١م.

تحرير جرف الصخر

في الوقت الذي قامت به الحركات التكفيرية الداعشية لاحتلال محافظات ومدن غرب العراق ، مثل الموصل والرمادي ، والوصول إلى ضريح الإمام العسكري (ع) في مدينة سامراء المقدسة اقترح الشهيد على سرايا الخراساني بأن عليهم إعادة تنظيم صفوفهم للقتال والاستعداد لتحرير الأراضي المحتلة. ولم يكتف بتقديم النصح والمشورة العسكرية لهذه القوات، بل ذهب أيضاً إلى منطقة جرف الصخر مع القوات الشعبية التطوعية لتحريرها، هذا التحرير أنقذ مدينة كربلاء المقدسة من الصواريخ وهجمات داعش.

خلال عملية سامراء التي سقطت فيها قذائف الهاون من قبل تنظيم داعش على ضريح الإمامين العسكريين(ع) والتي استمرت لمدة ثلاثة أيام، أجبر داعش على التراجع تحت قيادة الشهيد وتم تطهير المنطقة.

معراج الشهادة

في ٢٧ ديسمبر ٢٠١٤م ، بعد صلاة الظهر ، انطلقت عملية أطلق عليها "محمد رسول الله" وتقدم الشهيد مع عدد من القوات المقاتلة لمساعدة رفاقه، ولكنه أصيب واستشهد في سامراء على يد العناصر التكفيرية الداعشية دفاعاً عن العتبات المقدسة. ودفن جثمانه المقدس بجانب والده الشهيد بعد نقله إلى أهواز، واقيمت له مراسم تشييع مهيبة في مدينة كارون.

كتب اجتماعية

«شذرات من لآلئ القائد والولي».. عن الثورة الإسلامية في إيران

كتاب "شذرات من لآلئ القائد والولي" للكاتب التونسي محمد الرصافي المقداد، صدر في ٣٦٨ صفحة عن دار نشر "الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم" ، ووزع منه ١٠٠٠ نسخة عشية يوم القدس العالمي.

يحاول الكاتب التونسي محمد الرصافي المقداد تقديم منظور فريد ومستنير للإسلام "المحمدي الأصيل"، من خلال التعرض لسيرة شخصيتين ظهرتا في تاريخنا المعاصر فقدمتا حالة من الوعي والحركة الثورية .

الشخصية الأولى هو الإمام روح الله الموسوي الخميني(قدس) مفجّر الثورة الإسلامية في إيران ومحقق دعائم نظام حكم إسلامي أرساه على مبدأ ولاية الفقيه العادل. أعاد للإسلام روحه التي افتقدها منذ زمن بعيد وأحيا بها أنفسًا تواقة لنصرة الدين الحنيف وإحلاله في المجتمع محل التطبيق والقيادة فما جاء الإسلام إلا ليقود الحياة. والشخصية الثانية هو آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي(حفظه الله)، قائد جبهة مواجهة قوى الاستكبار والصهيونية.

حاول الكاتب بواسطة كتابه أن يسهم في تقديم هاتين الشخصيتين إلى القارئ التونسي والعربي خاصة أنهما لم يتخلفا عن خدمة الإسلام المحمدي الأصيل وقضايا الأمة العالقة. وتعتبر كتابات المقداد مصادر علمية قيمة لأولئك الذين يسعون إلى تعميق معرفتهم بالإسلام بعيدًا عن التبسيطات المفرطة التي غالبًا ما يتم نقلها في وسائل الإعلام الغربية. إنها توفر فرصة للتعلم والتأمل، ليس فقط للقراء المسلمين ولكن أيضًا لغير المسلمين المهتمين بفهم هذا الإيمان العالمي بكل تعقيداته وجماله.

يتطرق محمد المقداد إلى عدة مفاهيم مثل الوحدة الإسلامية، والقيم الأخلاقية للإسلام، والقضية الفلسطينية في ما يتعلق بالإسلام "المحمدي الأصيل"، ويبّين أن الرسالة النبوية قد ابتعدت عن نطاقها من خلال أعداء الإسلام، وخاصة أولئك الذين يتحدثون باسمه، وهم أول من أعطوا صورة مشوهة عن هذا الدين الجميل.

كما يبدو محمد المقداد معجبًا بأهمية وصدى وعقلانية رسالة الثورة الإسلامية في إيران، والتي أثمرت اليوم في بلد مزدهر يدافع عن نفسه كما ينبغي ضد قوى الشر والسياسات المتعجرفة الأمريكية والصهيونية.

تطرق المقداد الى الثورة الإيرانية التي يراها مختلفة من حيث المبادئ التي قامت من أجلها، ومن حيث شعبيتها التي حطمت كل التوقعات. فقد شكلت مركزية الحوزة العلمية محور حركتها وتنظيمها المحكم الذي قاد فعاليتها الممتدة من بداية الستينيات الى أواخر السبعينيات من القرن الماضي. رجل عرفه المجتمع الإيراني عالمًا ومرجعًا جللته التقوى والسلوك العرفاني. ووقف في وجه تجاوزات الشاه وانتهاكاته بحق الإسلام والشعب الإيراني.

كتاب "شذرات من لآلئ القائد والولي" لمحمد رصافي المقداد الذي صدر في تونس في نسخة جديدة هو فرصة ليطلع القارئ في كل مكان على مفاهيم الثورة الإسلامية التي بنت اليوم جمهورية صامدة قوية ومتفوقة في كل المجالات.